اللّغة التّخصّصية والمصطلحيّة:

إشكالات، ومقاربات، وإجراءات

فضيلة ختو

طالبة دكتوراه

جامعة أحمد بن بلة-وهران1-

الملخص:

شهد العالم في السّنوات الأخيرة تطورا علميّ اوتقنيّا مذهلا في شتى مجالات العلوم والمعرفة، صحبه ظهور عدد هائل من المصطلحات العلميّة الّتي تعبّر عن مضامين العلوم بمختلف أنواعها وتخصّصها، وقد نتج عن ذلك ظهور لغات التّخصّص أواللّغات المتخصّصة الّتي توظّف قصد نقل معارف خاصة معتمدة في ذلك آليات منها الاقتراض اللّغوي كوسيلة لسد الخانات المعجميّة الفارغة فيتخصّص معين في خضم علم جديد هو "علم المصطلح" الّتي تعدّ اللغة التخصّصية جزءا مهما منه ارتبطت بعلوم كثيرة منها المعجميّات وخاصة الصّناعة المعجميّة المتخصّصة.

الكلمات المفاتيح: لغات التّخصص، المصطلح، علم المصطلح، الاقتراض، الصّناعة المعجميّة المتخصّصة.

Abstract :

In recentyears,the world has witnessed a remarkablescientific and technicaldevelopment in variousfields of science and knowledgewhichisaccompanied by the emergence of a large number of slang termsthat express the contents of differents types of science.

This has resulted in the emergence of language of specializedthat has been employed in order to trasfer a specializedknowledgerelying on mechanisms, includinglinguisticborrowing as a mean of filingemptylexiconcells in a particular discipline in the midst of a new science whichis «**The Terminology** »wher the specializedlanguageconsidered as an important part of itthat has been associatedwithmany sciences , includinglexicons, especially the specializedlexiconindustry.

Key words: Languages for specialization ,term,terminology,borrowing, specializedlexiconindustry.

تمهيد:

في ظل الثّورة المعرفيّة والسّيل المعلوماتي المتدفّق في وقتنا الحاضر، والتّنوع الكبير في ميادين التّخصصات المعرفيّة والعلميّة والتّطور العلمي والتّقني الّذي يشهده العالم مؤخرا والّذي شمل شتى مجالات الحياة فقد صحب ذلك ظهور عدد هائل من المصطلحات العلميّة والتّقنية الّتي جاءت للتّعبير عن مضامين ومحتويات العلوم بمختلف تخصّصاتها والّذي نتج

عنه أو تمخضت عنه لغات التّخصص؛التي وظّفت قصد نقل معارف خاصة اختلفت باختلاف العلوم والنّشاطات الانسانيّة والتي أصبح البحث فيها أمرا ضروريا في خضم علم المصطلح والتّشديد على الدّور الاستراتيجي للغات التّخصص في إطار تخطيط لغويّ ناجح للحصول على المعلومات في جميع المجالات التي ترتبط بها.

فماذا يقصد بلغات التّخصص؟ وما أهمية المصطلح في لغات التّخصص ؟

لغات التّخصص أو اللّغة المتخصّصة تعبير عام يراد به تعيين اللّغات المستعملة في مواقف تواصليّة كتابيّة أو شفويّة متخصّصة؛ فهي ترتبط بالمعرفة المتخصّصة أيًّا كان نوعها وذات مفاهيم دقيقة، فهي لا تختلف كثيرا عن لغة التّواصل اليوميّ إلاّ من حيث أنّها تؤدي وظيفة رئيسة وهي تبليغ المعارف المتخصّصة كونها تحوي كمّاً معتبرا من المصطلحات انتقلت من "المستوى المعجمي إلى المستوى الاصطلاحي لتكتسب بذلك معنا خاصا لا يستعمل إلا في مجاله العلميّ المعروف"[(1)]؛ فخرجت بذلك من إطار اللغة العامة المتداولة إلى إطار أضيق هو مجال التّخصص.

وظهرت بناء على ذلك دراسات لغويّة أخرى تناولت هذه الوحدات اللغويّة المتخصّصة في معاجم متخصّصة عرفت بالمعاجم المتخصّصة–سنتطرق إليه في مبحث لاحق– باعتبارها تمثّل واقعا لغويّا محدودا من حيث الجماعة المتخصّصة الّتي توظّفه وتسعى جهودهم إلى الخوض في مجال لغات التّخصص مركزين اهتمامهم على المصطلح بشكل خاص الّذي يعد بؤرة ومسؤولا أولا في تحديد لغات التّخصص وتحديد درجة تخصّصها والعلامة المميّزة لها.

1/ لغات التّخصص والمصطلح قراءة في المفهوم:

فكما هو معروف عند اللّغويين من أنّ الاستعمال اللّغوي نوعان: استعمال عام ويقصد به اللغة اليوميّة أو شيوع وحداته اللّغوية بين متكلمي لغة ما، وهناك استعمال خاص للّغة يختلف بحسب توظيف اللّغة في الآداب بأنواعها، وفي البحوث المتخصّصة في ميادين مختلفة فيكون بذلك استعمال اللغة استعمالا خاصا.

فلقد ازدادت الحاجة في الوقت الراهن إلى مصطلحات بشتى فروعها واتّجاهاتها باعتبارها مفاتيح العلوم، وأصبح لكل مجال وعلم مصطلحات وعبارات خاصة تحقّق تجاوبا وتواصلا أكبر في المنظومة الكلاميّة، كما يتّسع مجال هذه المفردات العلميّة ويصبح أكثر تخصّصا كلما لجأ أهل الاختصاص إلى استحداث وخلق مفردات وألفاظ تعبر عن احتياجاتهم، الأمر الّذي تمخّض ونتج عن كثرة الاستعمالات المتعدّدة للّغة وتنوّع ميادين التّخصصات المعرفيّة والعلميّة ظهور لغات التّخصص الّتي تعبر عن معرفة متخصّصة في حقل من حقول المعرفة العلميّة.

أ/ تعريف لغة التّخصص:

إنّ تحديد لغة التّخصص ليس بالأمر الهيّن نظرا لعدم وضوح الحدود الفاصلة بين متخصّص وغير متخصّص بشكل جليّ، وقد اشتغل في هذا المجال المعرفي عدد من الباحثين وارتبط اسمهم بهذا الميدان وهم بيار لورا، غاليسون، وساجير.

جاء في تعريف بيار لورا(Pierre Lerat) لمفهوم لغة التّخصص بأنّها:

« C’est une langue naturelle considérée en tant que vecteure de connaissances spécialisée… »[(2)]

فإذا ترجمنا تعريف بيار لورا للّغة المتخصّصة فإننا نجده قد عرفها بأنّها لغة طبيعية وتعد وسيلة للتّعبير عن معارف متخصّصة مؤكّدا بذلك على طابعها البراغماتي.

كما نجده في موضع آخر قد أضاف قائلا:

« L'usage d'une langue naturelle pour rendre compte techniquement de connaissances spécialisées.... »[3].

فلغة التخّصص نظام لغوي فرعي متخصّص بجماعة لسانيّة متخصصة–كما عرفها جون ديبوا في قاموسه لاروس– أي أنّ لغة التّخصص أو اللّغة الخاصة« هو التّلون الذي لا يستعمل إلاّ من قبل أفراد أو جماعات فرعيّة موضوعة في ظروف خاصة»[4]؛ ولا يعني ذلك ارتباطها فقط بالمجتمعات المفترض أنّها بسيطة أو غير ذلك وإنّما هي اللّغات المستعملة في حقل معرفي معين لا يفهمها إلاّ المتخصّص في ذلك المجال.

أمّا إذا عدنا إلى مؤلّفات علماء المصطلحية فإنّنا نجدها تتّفق على تعريف اللّغة الخاصة بأنّها: «جملة الوسائل اللغويّة المستعملة في حقل موضوعي محدّد لتأمين الاتّصال في هذا الحقل مثل الفيزياء أو لغة الكيمياء والطب»[5].

ويعني ذلك أنّ لكلّ مجال أو حقل علمي لغته الخاصة الّتي تحقق تواصلا واتّصالا لغويّا كان أم شفوي لا يتم إلاّ من خلال مصطلحاتها الّتي توجّه المجامع اللغويّة والعلميّة في الوطن العربي« عناية خاصة إلى المصطلحات العلميّة والتّقنيّة وتعريبها ونشرها في المجلاّت التي تصدر عنها، وفي مقدمة هذه المؤسسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، ومجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية بعمان، وأكاديمية المملكة المغربية بالرباط، ويضطلع مكتب تنسيق التّعريب بالرباط بتنسيق المصطلحات الّتي تضعها تلك المؤسسات وتوحيدها في مؤتمرات التّعريب التي يعقدها بصورة دورية»[6].

فلقد اهتم اللغويون العرب منذ القديم بالدّراسات المصطلحيّة وأولوها عناية واهتماما كبيرين خاصة بعد تشعّب العلوم وكثرة التّخصصات، ويكثر الحديث عنها خاصة في ميدان لغات التّخصص.

أمّا عن خصائص لغات التّخصص فقد صنّفت ماريا تيريزا كابري ثلاثة أقسام لها: خصائص براغماتيّة، خصائص وظيفيّة، خصائص لغويّة[7].

1/ الخصائص البراغماتيّة: وهي الخصائص المتعلّقة بالمستعملين وحالات الاتّصال، وظائف الاتّصال، وتنقسم هذه الخصائص بدورها إلى ثلاثة أصناف: المستعملون فكلما تعلق الأمر بلغة متخصّصة كان عدد مستعمليها محدودا أي أنّ مستعملي لغة التخصّص هم فئة محدودة من المجتمع اللّغوي.

أمّا عن وظائف الاتّصال فهي الوظائف الّتي تحملها لغات التّخصص؛ وهي وظائف إعلامية من الدرجة الأولى.

وثالثا حالات الاتّصال: وهي الحالات الشّكلية من النّوع المهني والّتي تتفاعل معها لغات التّخصص.

2/الخصائص الوظيفيّة: إنّ الوظيفة الرئيسيّة للغات التخصّص هي إيصال وتبليغ المعلومات، فهي تستغل مصطلحاتها في تسمية مفاهيم مجال معين، وتظهر هذه الوظيفة جليا في النّصوص العلميّة والتّقنية أكثر مما تظهر في القطاعات المهنيّة كالإدارةوغيرها.

3/ الخصائص اللغويّة: تتميّز نصوص التخصّص بمميّزات تجعلها تختلف عن نصوص أخرى فمثلا نجدها تميل إلى الاختصار، وتتفادى التّكرار، والابتعاد عن الغموض.

ب/ تعريف المصطلح:

لقد اتّفق العلماء والمهتمون بالمصطلح على ضرورة وجود مشاركة أو مشابهة بين المدلول اللغوي والمدلول الاصطلاحي شرط أن لا تقرن المعاني العلميّة لمصطلح منفرد بأكثر من لفظة اصطلاحيّة واحدة، ويبدو ذلك جليّا في معاجم عربيّة كثيرة ألّفها كل من ابن منظور والجوهري والزبيدي والفيروز أبادي وغيرهم كثير.

جاء في لسان العرب مادة(صلح):« الصلح:تصالح القوم بينهم، والصلح:السّلم، وصالحو وأصلحوا وتصالحوواصّالحو...»[8].

وجاء في المعجم الوسيط في تعريف المصطلح:«اتّفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته»[9].

كما يعرّف بأنّه:« كلمة تعبّر عن مفهوم خاص وفي مجال محدّد»[10].

فإذا حاولنا التعمّق في هذا التّعريف فإنّه يتّضح لنا أنّ المصطلح يختلف عن باقي ألفاظ اللغة العامة بتميّزه بأحادية الدلالة في مجال خاص أو في مجال التّخصص، فيصبح بذلك له سمته المميّزة الّتي تمنع وجود التّرادف والالتباس الّذي ينتج عن تعدّد المعاني ونحن اليوم نعيش فوضى مصطلحية.

وعليه فالمصطلح« كلمة لها في اللّغة المتخصّصة معنى محدّد وصيغة محدّدة، وعندما يظهر في اللّغة العادية يشعر المرء أنّ هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدّد»[11]، وهو ما يظهر شدّة ارتباط المصطلح باللّغة الخاصة؛ فكما جاء في كتاب أحمد مطلوب "مفاتيح العلوم" أنّ:« الأساس في المصطلح أن يتّفق عليه اثنان أو أكثر، وأن يستعمل في علم أو فنّ بعينه ليكون واضح الدلالة مؤديا المعنى الذي يريده الواضعون»[12].

فلكل علم من العلوم لغته الخاصة ومصطلحاته الكاشفة فلكلّ جديد قديم أحدثه، ولكلّ قديم جديدا ثبّت وجوده، فعلى حد تعبير الخواريزمي من أنّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها فإنّ جهل مصطلحات علم معين ومدلولاتها يؤدي بالدّرجة الأولى إلى عدم فهم العلاقات الواردة بين وحدات هذا العلم، ذلك أنّ المصطلحات تعدّ ثمار العلم القائم بذاته وتعود عليه، وبذلك فإنّ« المصطلح خاضع للتّخصيص ولا يتحدّد إلاّ في إطاره»[13].

وعليه فمعرفة اللّغة التّخصصية يقتضي بالضرورة تحديد مصطلحاتها الّتي تشكّل دعامة كل العلوم، ويشكّل المصطلح عصبها بحيث يجلّي العلاقة بينه وبين اللغّة المتخصّصة.وإذا ما رجعنا إلى تعريف الاصطلاح الذي ورد في المعجم الوسيط بمعنى:« اتّفاق طائفة على شيء مخصوص»[14]، فإنّ المقصود بالاتّفاق هنا اتفاق جماعة مخصوصة بعلم من العلوم على إعطاء كلمة ما معنى جديدا فيسمى ذلك اللفظ المتّفق عليه مصطلحا، ويستخلص من خلال هذا التّحديد ارتباط المصطلح باللّغة المتخصصة، ويدلل ذلك أيضا التعريف الآتي:« المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصّصة (علمية أو تقنيّة...) موروثا أو مقترضا يستخدم للتعبير عن المفاهيم وليدل على أشياء ماديّة محدّدة»[15].

فالمصطلح كلمات متّفق على استخدامها بين أصحاب التّخصص الواحد ويختلف مصدرها إلاّ أنّها تتّفق في معناها داخل مجال التخصص، ذلك أنّ« المصطلح لغة خاصة يستخلص من لغة عامة يطلق لمناسبة بين اللفظ والمعنى، كالارتباط بينه وبين اللغة حقيقة أو مجازا، أو لغير مناسبة...»[16] دون أن يفقد علاقته بالتّخصص، ذلك أنّ المصطلح يرتبط ارتباطا وثيقا باللّغة المتخصّصة، فهو سيّد الموقف فيها ووحدة من وحدات لغة العلم، وهذا ما يؤكّده محمد الديداوي بقوله:« الاصطلاح في اللغة المتخصّصة في منتهى الأهمية ، وتصلح المصطلحات لمايلي:

–تنظيم المعرفة على أساس العلاقات بين المفاهيم,

–نقل المعرفة والمهارات والتكنولوجيا.

-صياغة ونشر المعلومات العلميّة والتّقنية.

-ترجمة النصوص العلميّة والتّقنية.

-استخلاص وإيجاز المعلومات العلميّة والتّقنية»[17].

وما يدلّل ذلك أيضا المكانة الّتي احتلّها علم المصطلح بين أفرع علم اللّغة التّطبيقي؛ هذا العلم الذي يتناول الأسس العلميّة لوضع المصطلحات وتوحيدها« وكان فوستر E/Wuster قد حدّد في القرن العشرين موضع علم المصطلح بين فروع المعرفة، بأنّه يربط علم اللغة بالمنطق وبعلم الوجود، وبعلم المعلومات، وبفروع العلم المختلفة»[18]، وتشكّل اللّغة التّخصصّية جزءا من علم المصطلح.

وقد تنبّه كل من اللغويين العرب والغرب إلى أهمية هذا العلم فأعطوه الأهمية القصوى في دراستهم وبحوثهم ونظرة في تاريخ تطوّر لغتنا تكشف ذلك جليا.

2/الاقتراض اللغوي وعلاقته باللّغة المتخصّصة:

إنّ إدراك الحاجة إلى مصطلحاتجديدة، واقتراضها من اللّغات والثّقافات والحضارات المجاورة أمر عرفته العربية منذ القديم، ذلك أنّ اللّغات السّامية تحكمها سنن التّأثر والتّأثير فكان ذلك سببا في تطور دلالات المصطلحات وتغيرها.

فاللغة العربية لغة علم وحضارة مثلها مثل اللغات السّامية الأخرى، غير أنّه ومع ظهور فجر الاسلام ظهرت نقلة كبيرة في حياة العرب والعربيّة جعلتها تواجه مقتضيات فكريّة وحضاريّة جديدة دفعت العرب إلى فتح عقولهم وعيونهم على معارف نظريّة وتطبيقيّة، غير أنّ العربيّة واجهت تدفقا كبيرا من المعارف والعلوم لم تكن مهّدة لمواجهتها لافتقارها حينئذ لغويّا تواجه به السّيل الجديد، فوجدت نفسها أمام الأصالة او الاقتراض لتغطيّة العجز اللغوي لتلك المصطلحات الوافدة إليها من حضارات وثقافات الأمم الأخرى، وأصبحت بذلك اللغة العربية البوتقة الّتي انصهرت فيها ألفاظ وكلمات تلك المعارف والثّقافات غير العربيّة الأصل وفتحت طريقا آخر لنمو العربيّة عن طريق الاتّصال اللغوي بين اللّغات في نطاق ما يعرف **بالاقتراض اللغوي والمعجمي** بوجه خاص.

غير أنّ السؤال الذي يطرح هنا في خضم ظهور علم المصطلح واللغة التّخصصية هو **ماعلاقة اقتراض المصطلح باللغة التخصصية؟وما أهميته في البحث المصطلحي؟**

والاجابة عن هذا التساؤل يقتضي منّا التطرّق أولا إلى علاقة التّأثر والتّأثير بين اللّغة العربيّة واللّغات السّامية الأخرى- وسنقتصر لأن المجال لا يتّسع للإطالة- وعلاقته باللّغة المتخصصّة.

أ/التّأثير اللغوي بين العربيّة واللّغات السّامية:

إنّ الخوض في تاريخ أي لغة من اللّغات الانسانيّة ذات التّاريخ الطويل والعريق مثل اللغة العربيّة أمر يحتاج إلى كثير من الحيطة والحذر، هذه اللّغة الّتي هي أقدم اللّغات السّامية وأرسخها قدما في خصائص العائلة اللغويّة كلها،مرّت بمراحل ما بين تطوّر وتقلّب في ملتقى تيارات لغويّة أثّرت وتأثّرت وحملت بين ثناياها أريج الأسلاف الأوائل.

وتجدر الاشارة إلى أنّ اللّغة العربية والّتي هي أقدم اللّغات السامية وإن انفصلت عن اللّغات السّامية تشترك في كثير من الخصائص اللغويّة والصرفيّة والنحويّة والمعجميّة[19]، هذا التّداخل والتشارك بينهما كان له تأثير لغوي جلي في القديم وظل الأمر على هذا المنوال إلى يومنا هذا، فما من لغة يمكن لها أن تخلُص من تأثير لغة أخرى مهما حاول متكلّموها

المحافظة عليها ونحن في عصر التلاقح اللّغوي والثّقافي الّذي أصبح ضرورة حتميّة للّغة الّتي لم يعد دور المعجمي مقتصرا في حفظ اللغة في المعاجم كما كان سابقا؛ وإنّما تعدى ذلك إلى إعداد اللّغة للاستعمال؛ لأنّ اللغة وكما عرفها ابن جني أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم« والأغراض لا تنتهي، بل تتجدّد وتتولّد... وكل حدث اجتماعي لابد من تغطيته بمدلول لغوي»[20].

فلقد احتكت اللغة العربية في فترة انتشارها بلغات متعدّدة أثّرت فيها وتأثّرت بها قبل الاسلام وبعده ما نتج عنه ظاهرة الاقتراض اللغوي في اللغة العربية وظهور الألفاظ الأعجميّة والدّخيلة وإن كانت هذه الألفاظ قليلة إذا ما قيست بعد اتساع الفتوحات الاسلامية، الأمر الّذي أدى إلى استعانة العربية ببعض الألفاظ الأعجميّة لشيوعها في الاستعمال الواقعي، يقول صبحي صالح في قضية التّأثير والتّأثر بين اللغات:« إنّ تبادل التّأثير والتّأثر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، وإنّ اقتراض بعض اللّغات من بعض ظاهرة إنسانيّة»[21].

وما يساعد على معرفة التّأثر اللّغوي بين اللّغات هو معرفة منزلة العربيّة بين اللّغات السّامية، لبيان موقعها أثر مهم في دراسة المصطلحات المقترضة« فبقدر ما يتم تحديد ذلك الموضع تحديدا دقيقا يسهل تأثيل المفردات العربية ومعرفة أقرب النّظائر السّامية إليها فيسهل رصف كل مجموعة من المفردات في ترتيب تاريخيّ ولو تقريبيّا»[22]؛ فالعلاقات التّاريخية الّتي ربطت بين الجماعات اللغويّة النّاطقة باللّغات والاتّصال الشديد بين الشعوب أدى إلى مظاهر كثيرة منها الاقتراض المعجمي وهو مظهر من مظاهر التّأثير اللغوي بين الشعوب« وما يفسّر هذا التّأثير اللغوي المتبادل هو انتشار هذه اللّغات في مساحة جغرافية ضيّقة نسبيا شهدت انفتاحا كبيرا في العلاقات بين الشّعوب بسبب الهجرة خصوصا، فكانت المنطقة السّامية من الناحيّة اللغويّة متعدّدة اللغات»[23].

فاتّصال الشّعوب يؤدي في كثير من الأحيان إلى اتّصال اللّغات، وهذا الاتّصال بدوره يؤثّر من جهة على نوع الاتّصال بين الشعوب وعلى درجة اقتراض المصطلحات ونوعها.

2/ الاقتراض اللّغوي ظاهرة لغوية وتنميّة للّغة المتخصّصة:

الاقتراض اللّغويّ وإن اختلف مضمونه وتعدّدت تعريفاته قضيّة لغويّة في المقام الأوّل، وتاريخ اللّغة العربية مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الحضارة العربيّة الاسلاميّة، ولذلك يعدّ الاقتراض اللّغوي إلى كونه قضيّة لغويّة قضيّة حضاريّة، فهو يعدّ« وسيلة من وسائل التّوليد ينشأ من ظاهرة اتّصال اللغات»[24]، وهو ظاهرة طبيعية دالة على حيويّة اللّغة وتطوّرها، ولقد اقترضت اللغة العربيّة على مرّ تاريخها الطويل مصطلحات وألفاظ كثيرة خاصة الخاصّة منها بمجال معين.

ويعرّف الاقتراض اللّغوي:« بأنّه أخذ جماعة لغويّة سمة صوتيّة أو صوتما أو بنيّة صرفيّة أو وحدة معجميّة، أو تركيبا نحويّا أو وحدة دلاليّة أو سمة لأسلوبيّة من لغة مصدر، وذلك لملء خانة فارغة، فالاقتراض اللّغوي يتّصل إذن بأنظمة اللّغة كلها»[25]

وجاء في لسان العرب« القرض، والقراضة ما سقط بالقرض ومنه قراضة الذّهب... والقرضُ ما يعطيه من المال ليقضاه... وأصل القرض ما يعطيه الرّجل، أو يفعلُه ليجازى عليه... واستقرضت من فلان أي طلبت منه قرضا»[26].

ويجمع الباحثون انطلاقا مما قيل في المعاجم أنّ الاقتراض اشتهر بالمعرّب والدّخيل، وإن اختلفت ماهية كل مصطلح عن الآخر، فلقد أضاف التّاريخ العربيّ والاسلامي إلى معنى الاقتراض أو المعرّب أبعادا كثيرة ساهمت في زيادة عموميّة مرجعيّة هذه الكلمة وغموضها، والفهم الصحيح لمعني هذا المصطلح.

وواقع اللغة العربيّة مثلها مثل واقع اللّغات يعوم في محيط من التّأثير والتّأثر، يسوده الانفتاح والانغلاق، التّجديد والمحافظة، الأمر الذي يدعو إلى طرح تساؤلات حول وضع اللغة العربية في ظل هذا الواقع اللغوي الصاخب الّذي جيّش آلاف المصطلحات الدخيلة، واللغة العربيّة« مدعوة أكثر من غيرها إلى الوعي بالأخذ بالأسباب الّتي تضمن لها التّطور والتّجديد في إطار من التّمسك بالأصول، تطوّر يحدث في مادة اللغة الّتي تؤلّف بنيتها وكيانها، بحيث تتولّد عن الألفاظ القديمة ألفاظا جديدة، قد تبتعد قليلا أو أكثر عن دلالة وضعها»[27] غير أنها لا تخرج عن مجال تخصصها، لأنّ اللغة أو الأمم العربيّة الّتي تسعى إلى تخليد لغتها لابد أن يمتّد أمسها في يومها ليشكّلا نظرتها الشموليّة وإن اعتمدت على الاقتراض.

أمّا إذا حاولنا معرفة العلاقة بين الاقتراض اللّغوي كآلية من آليات وضع المصطلح وعلاقته باللّغة التّخصّصية الّتي لها دور استراتيجي في إطار تّخطيط لغويّ ناجع كوسيلة من وسائل الحصول على المعلومات في جميع المجالات الّتي ترتبط بها، خاصة وأنّ المصطلح يعدّ أساس لغة التّخصّص وذلك بما يسهم به في تعريف المفاهيم وتنظيم المعارف ودقّتها ووضوحها ودورها التّواصلي الناجح.

فالاقتراض أو ما يصطلح عليه بالتّعريب هو آلية مؤطّرة للغة التّخصص في اللّغة العربية–وقد سبق الحديث عنه وعن العلاقة بين اللغة العربيّة واللغات السّامية–، **فكيف يخدم الاقتراض لغة التّخصص؟**

إذا ما تمعّنا في التعريفين الآتيين للاقتراض:« هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها» و«(هو) نقل كلمة أجنبية ومعناها إلى اللّغة العربية كما هي دون تغيير فيها أو مع إجراء تغيير أو تعديل عليها لينسجم نطقها مع النّظامين الصوتي والصرفي للغة العربية لتتّفق مع الذوق العام للسّامعين ولتيسير الاشتقاق منها»[28]؛ ففي التعريف الأول يشير إلى الوحدات المعجميّة الّتي أخذتها جماعة لغويّة واستعملتها في لغتها سواء كانت عامة أو خاصة، أمّا التّعريف الثاني يشير إلى ظاهرة الاقتراض المعجمي نفسها، ومن جهة أخرى إلى أهم السّمات اللّغوية للمصطلحات المقترضة في لغة الاختصاص كالأبنيّة الصرفيّة والصوتيّة والتّركيب وغيرها.

فالاقتراض اللغوي للمصطلحات تحدّد أيضا مسار لغات التّخصص لأنّها المسؤول الأول عن تحديد درجة تخصّصها، فاقتراض مصطلح ما من لغة للغة أخرى في مجال مخصّص ومن متخصّصين يظهر الدور الكبير الاقتراض في تحديد لغة التخصّص وتنميّة ذلك المجال بمصطلحات متخصّصة في حقل معين، فيصبح ذلك المصطلح المقترَض يستخدم في لغة خاصة ومتخصصة وليس في لغة عامة؛ ذلك أنّ الضرورة أي ضرورة التّخصّص دعت إلى حتمية اقتراض مصطلح خاص لاستعماله في لغة خاصة ومن قبل أشخاص متخصّصين.

فيسهم بذلك الاقتراض في تصنيف المصطلحات بالنّظر إلى حركيّة المصطلح ونسبة تداوله بين اللّغة العامة أو الخاصة، فنجد بذلك مصطلحات لا تخرج عن سياق التّخصص الواحد ولا توظّف إلاّ في لغة متخصّصة، ولا ينفرد إلاّ بدلالة واحدة في التّخصص الواحد باعتبار لغات التّخصص:« تتوخى الدّقة والدّلالة المباشرة وكلتاهما سمة جوهريّة في المصطلحات العلميّة والتّقنية»[29]الّتي تعد قوام لغات التّخصص والعلامة المميّزة لها.

واللّغة التّخصّصية أو لغات التّخصص أعم وأوسع من المصطلحيّة الّتي هي في الأصل جزء لا يتجزأ منها كونها لا تنحصر في مجرد قائمة أو مدوّنة من المصطلحات الّتي تحدّد مفاهيم علم معين، فكل لغة متخصّصة تتميّز بخصائص صرفيّة ونحويّة. فلغة المصطلح هي جزء من هذه اللغة الخاصّة بكل مميّزاتها الصرفيّة والتّركيبيّة؛ لأنّ المصطلح كما يقول محمود فهمي حجازي تكوّن داخل لغة التّخصص[30]؛ ويعد المستوى المعجميّ أحد أهم عناصر المصطلحية الّذي لابد منه

إلى جانب مستويات لغويّة أخرى لتكتمل الدّراسات ويخط البحث في لغة التّخصص أشواطا متقدّمة ونتجاوز بذلك أزمة المصطلح.

3/ لغـات التّخصـص والمعجميـات:

يمكن معالجة هذا المبحث بالتّطرق إلى المعجميّة المتخصّصة الّتي تعنى بالمصطلحات العلميّة المتخصّصة والّتي تكون موجّهة إلى فئة محددّة هي الفئة المتخصّصة في مجال معين.

فلا شكّ أنّ غياب خطة ناجعة لتوحيد المصطلحات وإيجاد حلول نهائيّة للفوضى المصطلحيّة التي يعيشها لم يمنع من وجود حركيّة معجميّة متخصّصة لها دور في تقليص الاختلاف المصطلحي وكذا وجود لغات تخصّصية واضحة المعالم والأسس، ووضع لغة التّخصص العربيّة بديلا مكافئا للغة التّخصص الأجنبية، ويروم ذلك بناء المعاجم المتخصّصة ووضع الطرائق التّعليميّة لتعليم لغات التّخصص، والهدف الأسمى« ربط الصّلة بالواقع بإحلال المصطلح العربي محل المصطلح الأجنبي»[31]، وتقريب المصطلح من مستعمليه، الأمر الّذي يستدعي بالضرورة وجود معاجم متخصّصة للمصطلحات الخاصّة بلغات التّخصص.

1/ المعاجم المتخصّصة:

لقدعرف التّاريخ البشري قبل قرون عدّة التّصنيف المعجميّ أو ما يعرف بالصّناعة المعجميّة، والّتي ظهرت منذ وقت مبكر لدى اللّغويين، وانبثقت لديهم فكرة وجود معاجم تحفظ لغتهم، وقد قيّد لهم التّاريخ جانبا من النّضج الفكريّ وعددا ضخما من المعجمات، فلم يكن العرب بمعزل عن التّأليف المعجمي وإن تأخروا عن غيرهم في ذلك؛ فلقد اهتموا بالمعجم من حيث المحتوى والهيكل منذ القرن الثاني الهجري، وازدهرت لديهم الصناعة المعجميّة العربيّة وتعدّدت مدارسها، حيث قدموا للعالم نماذج متنوعة من التّفكير المعجميّ من حيث الجمع والوضع.

ولقد كان للعرب في ميدان الصنّاعة المعجميّة عامة مصنّفات كثيرة ساهمت بالنّهوض بالتّراث العربي عامة والتّراث المعجميّ خاصة، ذلك أنّ العربيّة إنّما تجمع بين طيّاتها إرثا لغويا من الألفاظ المتباينة المعنى، مما دعا ذلك إلى ضرورة وجود مصادر يعتمد عليها في

ما يطلق عليه بـ" المعجمية العامة"، وفرع يقوم على الوحدات المعجميّة المتخصّصة أي المصطلحات وما يسمى بـ" **المعجميّة المتخصّصة**" والتي يشكّل فيها المصطلح بؤرة الوقوف على معاني هذه الألفاظ، وقد تجلّت هذه المصادر في معاجم اختلفت أهدافها وتباينت مناهجها باختلاف المؤلف نفسه، إلاّ أنّها ركّزت على هدف أسمى هو صون اللغة.

وتمثّل الوحدات المعجميّة بخاصتيها التّعميم والتّخصيص عنصرا أساسيّا من العناصر المكوّنة للمعجم ، ويشكّل هذان الصّنفان فرعين كبيرين من علم المعجم يقوم أولهما على ألفاظ اللغة اهتمامهم.

ومع ظهور مبحث لساني حديث في الدراسات اللغوية ألا وهو " **المصطلحية**" أو "**علمالمصطلح**" تعمّق البحث في المصطلحات وخاصة المولّدة منها، وتمحور موضوعه في البحث في المصطلح من حيث مكوّناته ومفهومه ومناهج توليده، فمن المسلّم أنّ اللغة ظاهرة جماعيّة تتحرك طوعا كلّما تلقّت منبها خارجيا فهي تستجيب بانتظام داخلي ما إن يستفزها الحافز الذي يمكنّها من استيعاب الحاجة، وهكذا تصطنع لنفسها نهجا من الحركة الذاتيّة خاصة في خضم هذا التّطور التّاريخي والصّيرورة الحضاريّة التي جعلاها تقف مشدودة بين قطبين متدافعين إمّا المواكبة وإمّا المحافظة؛ وهو ما تعيشه كل اللّغات من مخاض تولّد الدوال عندما تقتحمها مدلولات مستحدثة، فبين التوسّط والتركّح يحدث في اللغة قانون تعادلي

يحقق توازنا بين الرّصيد القاموسي العام ورصيد كل علم من المصطلحات دفع ذلك إلى وجود نهج جديد في البحث مداره علم المصطلح يعالج نشوؤها ضمن نسيج اللغة.

فلقد شغلت قضيّة المصطلح اللّغويين وكثرت في اللغة العربيّة المعاصرة **المشكلاتالمصطلحيّة**[32] النّاجمة عن التّقدم العلمي المتسارع في مجالات العلم والمعرفة، "فالثّروة المصطلحيّة هي مرحلة تالية لازدهار البحث العلمي، والعناية بالمصطلح العلمي هي الطريق إلى جعل اللغة لغة البحث العلمي، فتقوم بأدوارها كاملة في مجالات المعرفة والابداع والعلوم، وتمكّنها طاقاتها التّعبيرية من مواكبة ركب الحضارة والاسهام فيه بنصيب"[33]، وقد أصبحت لهذه المصطلحات معاجم متخصّصة باعتبار المعجم المختص معجم مدون يختص بمصطلحات علم من العلوم أو فن من الفنون ولن نجانب الصواب لمّا قيل أنّ المعاجم المختصة هي لسان العلوم، وقد قيل منذ القديم مفاتيح العلوم مصطلحاتها.

2/الصناعة المعجميّة العربيّة المتخصّصة:

يعدّ تراثنا المعجمي باختلاف مدارسه رصيدا ثمينا للصناعة المعجميّة، بما اشتمل عليه من أنماط المعاجم التي تمّ تأليفها، فقد بدأ المسار العربي في التّأليف منذ البدء في شرح وتفسير القرآن؛ فقد شكّلت الرسائل المعجمية اللّبنة الأولى للصناعة المعجميّة العربيّة التي اختصت بموضوع واحد، فهي" شكل من أشكال الجمع اللّغوي، صنّفت فيها المعاني تصنيفا موضوعيّا على معنى واحد من المعاني، تناول بعضها أعضاء الإنسان وبعضها ألفاظ تتعلّق بحياته الاجتماعيّة كالأخبية، والدارات، والأثواب، والأرجل والسلاح وغيرها؛ مثل كتاب خلق الانسان لصاحبه الأصمعي(ت216هـ)، وكتاب الرحل والدارات المنسوب لابن قتيبة (ت234هـ)، بينما تناول الآخر منها: الطبيعة والنباتات إذ وضعت فيها رسائل صغيرة مختصة مثل كتاب الابل، وكتاب الخيل، وكتاب النبات، والشجر، وكلها للأصمعي...."[34]وغيرها، وغني عن البيان أنّ للعرب ثروة هائلة من المعاجم اللغوية ومنها المعاجم المتخصصة التي قصرها أصحابها على موضوع واحد أو باب واحد من باب المعرفة.

أمّا إذا حدّدنا مفهوم المعجم المختص فإننا نجد أنّ الدّراسات تجمع على أنّه" يعالج قسما واحدا من المفردات ويختصّ بأحد فروع المعرفة... وهدفه مساعدة القارئ على معرفة معاني لغة حقل معين من حقول المعرفة ومصطلحاته مثل معجم حتي للمصطلحات الطبية (انجليزي عربي)، معجم الشهابي للمصطلحات الزراعية، والمعجمات التي ينشرها تباعا مكتب تنسيق التعريب بالرباط[35].

والمعجم المختص هو " الذّي اختص بمصطلحات علم من العلوم أو فن من الفنون فجُمعت فيه، فهو إذن المعجم المشتمل على مصطلحات علم ما أو فن من الفنون، ومن أشهر أمثلته القديمة معاجم الأدوية المفردة"[36]، وينتمي المعجم المختص إلى المعجمية المختصّة التطبيقية[37].

وتجدر الإشارة إلى أنّ العربية خلال أربعة قرون كاملة أخذت تتلقى زادا من المصطلحات في كافة جوانب العلم مستجيبة للتّطور الحضاري والعلميّ الذي شهدته أنذاك،ممّا أدى إلى تعدّد المصطلحات وتنوّعها وتضخّمها مما دفع العلماء إلى ضرورة تنظيم هذه المادة المصطلحيّة في معاجم خاصة إذ لم يوجد لها مكانا في المعاجم اللغويّة العامة، إلى جانب ذلك شكّل تعدد دلالة المصطلح الواحد في كل بيئة علمية لبسا، وكان هذا أحد الأسباب التي دعت إلى ضرورة وضع المعاجم المتخصصّة والتي تعدّدت بتعدّد التّخصصات والصّناعات كما يقول الخوارزمي(ت387هـ)، فهي إذن معاجم تعالج شريحة بعينها من النّشاط الفكريّ علميّا كان أم أدبيا،" فهي تخاطب المتّخصصين"[38].

كما لايفوتنا أن نشير إلى أنّ المعاجم المتخصصة أصبحت متنوّعة المستويّات منها الصغيرة ومنها متوسطة ومنها الكبيرة وقد تكون بلغة واحدة كما قد تكون بلغات عدّة، "ولكن عددا كبيرا من الأعمال المعجميّة المتخصّصة كانت في مجالات محدّدة منها –على سبيل المثال– الجامع لأسماء الأدوية لابن البيطار(ت646هـ) ويضم مصطلحات متداولة في المواد الطبية بعضها من مصادر عربية وأخرى من كتب معربة"[39].

فإذا كانت طبيعة المعجم العام تميل إلى أحادية النوع catégorie فإنّ طبيعة المعجم المختص" تميل إلى التعدّدية النّوعية، بمعنى أنّ المعجم المختص ليس معجما واحدا بل معجمات قائمة وعددها مفتوح.فقد تختصّ بدراسة لغويّة اعتمادا على مستويات معيّنة وانطلاقا من الأصوات إلى المفردات إلى الأساليب إلى اللهجات أو مفردات خاصة... ومصطلحات علميّة أو فنيّة"[40].

وتساعد لغات التّخصّص الباحثين في مجال المعجميّة سواء أكانوا طلابا أو باحثين أو أساتذة على أن يتكوّن لديهم رصيد لغوي متخصّص يساهم في عقلنة رصيده المعرفي واللّغوي، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالعمل على محاولة سد الهوّة بين التّلقين العلمي والمنهجي للغة التّخصص في الجامعات ومراكز البحوث وبين تطبيقها ومجالاتها العمليّة، فيتمكّن بذلك الباحث من الضلوع في اللغة والتّخصص ولا يكون ذلك إلاّ بعمليّة تعزيز وتحسيس بأهميّة لغة التخصّص في مجال العلم.

الإحالات:

(1) عبد الحي العباسي، بناء المصطلح (العجيب والغريب والخارق والفانطستيك) بين قيود المعجم وقلق الاستعمال، المطبعة والوراقة الوظيفية، مراكش،ط1، 2007،ص 9.

(2) Pierre Lerat ,les langues spécialisées,pressesunivérsitaire de France ,P20-21.

(3)المرجع نفسه.

(4)جولييت غارمادي، اللسانيات الاجتماعية، تر:حلمي خليل، دار الطليعة للنشر،بيروت، ط1، 1990، ص 53.

(5)عبد الرحمان حسن العارف، تمام حسان رائدا لغويا، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، 2002، ص 294.

(6) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط2، 1991،ص 14.

(7) صراح سكينة تلمساني،" مفاهيم أولية في لغة التّخصص"،مجلة تعليميات، العدد4، جامعة المدية، ص ص 7-8.

وينظر :.CABRe,Maria Térésa.OP.CIT.P125

(8) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، مادة صلح.

(9) ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر،بيروت،د.ت، مادة صلح، ص 135.

(10) عبد الرحمان حين العارف، تمام حسان، مرجع سابق، ص 295.

(11)أحمد بلحوت،"المصطلح،المقاييس وإجراء المعالجة"،مجلّة المبرر،المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الانسانية،بوزريعة، الجزائر،ع 12، جانفي/جوان، 1999،ص 67.

(12) أحمد مطلوب، بحوث مصطلحية، منشورات المجمع العلمي، 2006، ص 51.

(13) ناسية عادل، "إشكالية المصطلح السيميائي بين واقع الترجمة واختلاف الهويات"، مجلة التعريب، دمشق، العدد 52، حزيران(يونيه) 2017، ص205.

(14) ينظر: المعجم الوسيط،ج 1، 2،دار الأمواج، بيروت،1990، ص 520.

(15) محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دت،ص 11.

(16)المضري محمد الغالي،"المصطلح في النحو العربي"، مجلة التعريب، دمشق، ع 51، كانون الأول(ديسمبر)، 2016 ، ص125.

(17) محمد الديداوي، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002، ص 275.

(18)عزاز حسنية، "المصطلحية بين التّأسيس النظري والتّطبيق العلمي"، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ج1، الملتقى الوطني الأول حول المصطلح والمصطلحية، 2-3 ديسمبر 2014،ص 36.

(19) ينظر: حسن ظاظا، تاريخ اللغات السّامية وخصائص كل لغة ،بالتفصيل، وكتاب تاريخ اللغات السّامية لولفنوس، ص 14.

(20) توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظريّة وتطبيقا، مطبعة الدعوة الاسلامية، القاهرة، ط1، 1980، ص10.

(21)صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين للنشر، بيروت،لبنان، ط3، 2009، ص 315.

(22) فتحي الجميل، المقترضات المعجمية في القرآن، بحث في المقاربات، كلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة، 2013، ص ص 85-86.

(23) المرجع نفسه، ص 87.

(24)المرجع نفسه، ص 40.

(25)فتحي الجميل، المرجع السابق، ص 40.

(26)ابن منظور، مرجع سابق، مادة قرض.

(27)عبد الله أيتالأعشر،اللغة العربية الفصحى، نظرات في قوانين تطوّرها وبلى المهجور من ألفاظها، منشورات مجلة الوعي الاسلامي، الكويت، ط1، 2014، ص 72.

(28) فتحي الجميل، المقترضات المعجمية في القرآن، مرجع سابق، ص 408.

(29) محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مرجع سابق، ص ص 14-15.

(30) المرجع نفسه، ص 14.

(31) الشريف بوشحدان،"لغات التخصص وإشكالات المصطلح العلمي العربي"،مجلة التواصل في اللغات والآداب، جامعة باجي مختار عنابة، العدد 49، مارس 2017، ص 148.

(32) جاد وحيد دودري، المصطلح العلمي في اللغة العربية عمقه التراثي وبعده المعاصر،دار الفكر، دمشق:برامكة، ط1، 2010، ص ص 9-10.

(33) جاد وحيد دودوي، المصطلح العلمي، مرجع سابق، ص09.

(34) عبد الله الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دار طلاس للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1986، ص ص234-236.

(35) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، منشورات جامعة الملك سعود بالرياض، السعودية، ط2، 1991، ص 46.

(36) ابراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1997،ص 80.

(37) ينظر المرجع نفسه، ص ص 79-80.

(38) ينظر حسن ظاظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النّهضة العربية، مكتبة دار الدراسات اللغوية، دار العلم دمشق، دار الشامية بيروت، ص 145.

(39) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة المجالات والاتّجاهات، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2006، ص ص 185-190.

(40) ابن الحويلي الأخضر الميدني، المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنّظريات التربوية الحديثة،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 103-104.